الجزء ٥ الجامعة السنة السادسة

مجلّة اجتماعيّة علميّة تهذيبيّة تاريخيّة
تصدر في نيو يورك
وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك حزيران — (يونيو) سنة ١٩٠٨ — جماد ١ سنة ١٣٢٦ ·

كلام لابن الشرق في الغرب

الآن بدأتُ أُحبُّ أميركا

مثال من مدنية اميركية

مقالة مكتوبة فيها

نعم هذه اول مرة شعرتُ بها بميل الى اميركا والمدنية الاميركية · ولم يهبط على نفسي هذا الميل وحياً من السماء ولا اندفعتُ اليه اندفاعاً بفاعل العواطف التي يكون حكمها في اكثر الاحيان حكماً (سطحياً) ولا انا اكتب هذا الكلام تزلفاً الى الاميركيين الذين يقرأون الجامعة في اميركا وسوريا ومصر — اذ يبن قرائها في نيو يورك نفر من المستشرقين الاميركيين الافاضل تشرفت الجامعة بان تعرّفت اليهم — ولكنني اكتبه بعد درسي اميركا سنتين وكمال درسي لها بدخولي في داخليتها ومراقبة احوال الشعب الاميركي فيها

واول ما هبط على نفسي هذا الميل كان في البلدة التي اكتب منها هذه السطور وهي وليمنتيك في طرف ولاية كنناتكت الشرقي مما يلي ولاية رودآيلند. فقد صرفتُ فيها يومين احدهما يوم أحد وفي هذين اليومين بدأت أشعر بذلك الميل . على انه والحق يقال قد ابتدأ في نيوهافن ولكني لم أُحسَّ به احساساً كاملاً الا في وليمنتيك

ومن حسن الحظ ان زيارتي للداخلية في هذا الشهر (١) كانت في مفترق الطريق أي بعد نشر المجلة المقالة السابقة في هذا الموضوع وخاتمتها مسألة يتوقف عليها الحكم في المدنية الاميركية ومنزلتها ومصيرها لامكان الحكم في حقيقتها الحاضرة . وهي هذه كما وعتها الذاكرة اذ ليس لدي الآن نسخة من ذلك الجزء (هل الطريق التي سلكتها المدنية الاميركية تؤدي بها الى الافاق العليا التي تعيش فيها الامم العليا وتصبح امة عقلية علمية فلسفية اجتماعية كما هي امة تجارية صناعية زراعية بل أعظم الامم في هذا الامر المادي . أم تبقى كما هي بلاداً مادية كبرى ويبقى فيها الفن والعلم وجميع آثار العقل والنفس في طفوليتها كما هي الآن ؟)

سألت هذا السؤال قبل خروجي من نيو يورك ومشاهدة آثار المدنية الاميركية في الداخلية . على انني الآن بعد تجوالي في ولاية كاملة انظر الى هذا الموضوع من وجه آخر لعله يمكنني الجواب عن تلك المسألة جواباً صحيحاً مبنياً على البرهان اليقين لا على الظن والتخمين

---

(١) يعلم قراء الجامعة «الجريدة» انني دخلتُ في هذا الشهر داخلية الولايات المتحدة لصرف شهر في بعض ولاياتها وقبلة رحلتي كندا حيث امتزج التمدن الانكليزي والفرنسوي والاميركي امتزاجاً لا شبيه له في الدنيا كلها

نتيجة عمل امة

واول ما يتبادر الى الذهن ان النتيجة التي حصلت عليها اميركا في هذه المدة القصيرة نتيجة عظيمة جديرة بإعجاب كل مفكّر منصف٠ فتجارتها وصناعتها وزراعتها اعظم تجارة وصناعة وزراعة في الدنيا واذا كانت عديمة الاتقان الذي يكون للصنائع الاوروبية فلها عذر مقبول وهو انها لم تبتدئ الا منذ اكثر من قرن والصنائع الاوروبية نتيجة اتقان قرون عديدة ٠ وأهلها اغنياء يكسب الواحد منهم في عامه ما يكسبه امثاله في غيرها في عدة اعوام ٠ فان اجرة العامل الذي يعزق الثلج من شوارع نيويورك في زمن الشتاء ريالان في النهار وثلاثة أو أربعة في الليل واجرة مثله في اوروبا ٤٠ سنتاً أو أقل من نصف ريال وفي مصر وسوريا يشتغل العامل بربع ريال ٠ وفي اميركا يتمتع الانسان بما يكسبه لان كسبه مضمون لديه وذلك لكثرة الاعمال فيها وسعة البلاد وغناها واذا اقتصد فانه يقتصد اموالاً طائلة في مدة قصيرة٠ اما ابناء اوروبا والشرق فلا يقتصدون ما يقتصدونه الا بشق النفس وحرمانها ولذلك يتهكم الاميركيون على الاوروبيين بقولهم انهم يقتصدون ما يقتصدونه في (جوار بهم الصوفية) وهو مثلٌ فرنسوي كناية عن ان غنى الشعب الفرنسوي وارد من اقتصاد ابنائه المال القليل في (جوارب الصوف) ولعل الاصل في ذلك ان عجائزهم وفلاحيهم كانوا يتخذون هذه (الجوارب) (الكلسات) خزانة لما يقتصدونه ٠ وفضلاً عن ذلك فان اميركا امة عزيزة بين الامم فهي ترفع رأسها بانفة وكبرياء بين جميع شعوب الارض وحكومتها مهيبة نافذة الكلمة لم يجز عليها ذلّ ولا نالها خفض عيش وقوتها البحرية معدودة ثانية قوات الدول الكبرى اذ لا تتقدّمها في ذلك امة غير الامة الانكليزية ٠ أضف الى ذلك ان شعبها محكوم بشرائع منطبقة على

حاجاته ومع كون الحرية مطلقة فيها الى آخر حدودها في بعض الامور فان حكومتها تقيدها في امور أُخرى وتسلب الشعب شيئاً منها دون ان يحتجَّ الشعب عليها لمعرفته انها انما تفعل ذلك لمنفعته لا لعدائها للحرية اذ لا عدوّ للحرية هنا يبغي صرعها واقامة حكومة مستبدة مطلقة مكانها كما هي الحال في فرنسا حيث تذهب نصف قوة الحكومة في اتقاء عدوان الملكيين والبونابرتيين والاكليريكيين على الحرية والجمهورية ٠ ومع كون الامة الاميركية ولايات ولايات كل ولاية مستقلة بادارة شؤونها الداخلية استقلالاً يكاد يكون كاملاً والحرية فيها مطلقة للجرائد والجمعيات اطلاقاً كلياً وعدد المشعوذين الذين يستثيرون الشعب على رجال الفضل من أهل الحكم وغيرهم كثيرون وعدد الحيتان الهائلة الذين يبغون احتكار ثروة البلاد ومن فيها في شركات تمتصُّ دماء العمال غير قليلين مع قلة الجنود الذين لا يتجاوزون ٦٦ الفاً في زمن السلم بحراً وبراً وبينما جيش فرنسا العامل في زمن السلم يبلغ ٥٠٠ الف رجل — مع كل ذلك لا نسمع بفتنة او ثورة ولم تتمرَّد ولاية وتستأثر بأمرها ولا نرى شبه اضطراب مما نراة ونسمع به في كل يوم في فنزويلا وهايتي وجمهوريات اميركا المتوسطة

فنتيجة كهذه النتيجة حصلت عليها الولايات المتحدة وانشأت شعباً نشيطاً حراً يرفع رأسه بكبرياء تحت قبة السماء وتهابه الاسود في غاباتها والحيتان في لجاتها وله جامعة يفديها بالنفس والنفيس وثروة تنثر ملايين الريالات في طريقه كما تُنثر اوراق الخريف — جديرة بالاعجاب وان يُقال عن الامة التي نالتها دون مساعدة احد لها والحكومة التي انالتها اياها ولم تَعدُ عليها انها امة عظمى وحكومة كبري تُحنى امامها الهام ويُرفع اليها الاحترام

هكذا يقول القائلون الذين ضلعهم مع اميركا وكل واحد منا يحسُّ بان هذا

القول حق من هذا الوجه · ولكن غيرهم ينظرون الى اميركا من وجه آخر فصّلناه فيما سبق من مقالاتنا ونرى ان هنا نقطة الخلاف التي تجب ازالتها · ومتى قبضنا عليها امكننا ان نحلّ الاشكال ونجيب عن ذلك السوءال

لماذا يكره بعضهم اميركا وماذا يكرهونه فيها

كثيرون منا يكرهون اميركا مع معيشتهم فيها ولا نتكلم هنا عن الذين لا ينجحون فيها فهوءلاء معذورون في هذه الكراهة ولكننا نتكلم خصوصاً عن الذين ينجحون فيهاو يكرهونها و بالاخص عن المقيمين في المدن الكبرى كنيو يورك وشيكاغو وفيلادلفيا وغيرها · و بما اننا قد شعرنا شعور هوءلاء مدة اقامتنا في نيو يورك فيمكننا ان نصف حالة نفوسهم بما شعرنا به في نفسنا بعد معيشتنا في نيو يورك

يفد أحدنا من الشرق على نيو يورك وهو يظن انه منتقل الى بلاد الكمال والجمال · فقد عاشرنا جميعاً كثيرين من افاضل المرسلين الاميركان في سوريا ومصر ورأينا فضلهم ودماثة اخلاقهم وسمعنا دعواتهم الى الآداب والدين والفضائل والاخاء البشري فخيّل لنا ان اميركا هي وطن هذه الكمالات كلها ولا شيء فيها مما يخالفها و يناقضها · ولكننا حين تطأ اقدامنا ارض نيو يورك مثلاً فماذا نرى ؟ اننا في بدء الامر نُدهش بما نراه من ضخامة العمران وفخامة البنيان ثم بعد الدهشة تأتي نوبة التأمل والامعان · و بعدهذا الامعان والتأمل نُصاب بدهشة أُخرى غير تلك الدهشةوذلك لاننا نرى في نيو يورك — عاصمة اميركا التجارية — ما لم يكن في الحسبان · فقد تركنا الشعوب في الشرق خرافاً يُجزّ صوفها ويُستدرّ لبنها ويستبدّ بها حاكمها وغنيّها والرئيس الروحي فيها فوجدنا الشعب في اميركا تحت نير عبودية لاصحاب الاموال والروءساء تختلف

عن عبودية الشعب الشرقي ولكن النتيجة واحدة وهي انين الشعب تحت عبئه الثقيل • اننا قلما رأينا في الشرق رجالاً بشوارب ضخمة وبنية قوية يستعطون خبزهم دون حياء او يصطفّون مئات امام قسيس يصلّي في الشارع ويستعطي لهم ابناء السبيل لاطعامهم وإيوائهم ولكنا رأينا في نيويورك ذلك واكثر منه • اننا لم نرَ في الشرق نساء يترنحن في الاسواق سكراً وينطرحن على بلاط الشوارع معربدات ولكنا رأينا ذلك في نيويورك • اننا لا نعدّ في سوريا كلها تقريباً حانات وخمارات بقدر ما نعدّه منها في مدينة نيويورك وحدها اذ في كل زاوية شارع حانة — قاعدة مطردة لا تقبل استثناء • وبما ان جميع الشوارع متقاطعة والزوايا كثيرة متقابلة فالحانات متقابلة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وهم يسمونها (صالون) وعشرات من البشر تزدحم في كل واحدة منها على مشروبات قتالة وامزجة مختلفة يدخل شراب الوسكي فيها كلها تقريباً لانه سلطان المشروبات في اميركا • والمضحك انه من المقرر إقفالها في يوم الاحد ولكن اكثرها يبيع فيه الخمور سراً بل جهراً لان بعض الشرطة يغضون الطرف واذا امسك احد الخفية (البوليس السري) صاحب حانة وهو يناول رجلاً مسكراً من حانته فلا يقدر ان يقبض عليه ويقاضيه لان صاحب الحانة يمكنه ان يدّعي انه يهب ذلك المسكر هبةً ولا يبيعه بيعاً ولا تحق العقوبة على صاحب الحانة الا اذا شوهد يقبض من الشارب ثمن ما شرب ••• وهناك حيلة أغرب وأعجب وهي ان بعض اماكن الخلاعة تدعى (ميوزيك هول) أي قاعات موسيقية فتفتح في يوم الاحد وتباع فيها المسكرات جهراً بحجة ان طالبها لا يطلبها لذاتها بل يطلبها ليأكل ولذلك يقدمون مع كأس المسكر التي توضع امامك قطعة من (الصندويج) او كسرة من الخبز والجبن وغني عن البيان انك تدفع ثمنها فوق ثمن المسكر وان كنت لا تأكلها • ادخل في يوم أحد قهوة „مرتين“

المشهورة في نيويورك وهي فرنسوية واطلب شراباً روحياً فيسألك الخادم للحال أي (صندويج) تريد لانه يبيعك المسكرات مع الصندويج ولا يبيعكها بدونه. وما عدا هذا فانك ترى الفاحشة علنية في نيويورك والنساء الساقطات يملأن الشوارع من الشارع الرابع عشر الى ما فوق في داخل المدينة ونسبتهن في بعض الشوارع في المساء الى الحرائر كنسبة ١٠ الى ٥ . ثم ماذا ترى ؟ ترى ارتخاء عظيماً في الاخلاق فان الرجال يستوقفون هؤلاء النساء او يجالسونهن في الاماكن العمومية والمطاعم كأنهم لا يأتون امراً اداً . و بين هذا وذاك تسمع زئير المدينة زئيراً هائلاً وترى حركة دائمة يتدافع فيها الناس كأنهم في طراد والسابق السابق منهم الجواد . فهذا يصطدم بك ولا يلتفت نحوك . وذاك تسأله من اين الطريق فيطمطم و يرطن ويصرف وجهه عنك . وذلك يعض سيكاره و يبصق امامك فربما اصابك رشاش هذا الطل القبيح . وغيره يعلو على الاوتوموبيل في مفترق الطريق بين زحام مركبات الترمواي وعربات النقل ويشتمك بطمطانيته لانك اجتزت امامه سريعاً ولم تتركه يدوسك . وغيره نشوان رنّحت الخمرة جسمه ولسانه وقبعته يتعلق بك و يقول انه لم يأكل منذ يومين ولذلك يطلب (فيف سنس) أي خمسة سنتات ليأكل الخ الخ الخ..

فبعيشكم اخبرونا ماذا تكون تأثرات ابن الشرق حين يرى هذه المدهشات كلها في اميركا وهو قادم ليرى فيها معجزات الآداب والمدنية قياساً على ما قرأه عن الاميركيين وما سمعه من ابناء اميركا في الشرق . هذا ناهيك عن خشونة المعاملات وغلظة الاساليب والاحاديث التي لا تسمع فيها وانت مارٌ في الشارع غير ذكر هندرد دولارس — ثوزند دولارس . ناشيونال بنك . ب . مرغن اند كومباني مضافاً اليها في الشتاء قرٌ يقتل الحيوان والانسان وفي الصيف حرٌ يذيب الشحم واللحم في الابدان . حتى اننا كثيراً ما نظرنا في نوافذ منازل من

أحسن المنازل رجالاً بقميص القطن (الفلانلا) مكشوفي الصدر بارزين من النافذة وهم يقرأون الجرائد والناس في مركبات الترمواي والشوارع رجالاً ونساءً ينظرون اليهم دون مبالاة كأنَّ فعلتهم هذه أمر اعتيادي

كل ما ذُكر وما لم يُذكر من أمثال هذه الامور التي لا يتوقع زائر اميركا ان يراها فيها تحمل ابن نيويورك وخاصة ابن الشرق فيها على ان يظن ان اميركا هي ما يراه في تلك الامور الشاذة والمناظر الثقيلة والامور التي تنفر منها الطباع السليمة. يظن ذلك وهو مهاجر ولا يخطر في باله ان الذين يراهم ويعاملهم ويحكم عليهم ذلك الحكم قد يكونون مهاجرين مثله تُركوا الى انفسهم في وسط شديد عليهم فأثر فيهم التأثير الذي رآه وكان سبب نفرته . فقد قيل في نيويورك (انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها) يعنون ان اكثر أهلها مهاجرون غرباء ولكن كل مهاجر غريب فيها لا يُعدُّ غريباً لانه بين غرباء مثله . فاذا شئنا الحكم على مدنية احدى الامم يجب ان لا نتخذ موضوعاً لدرسنا المهاجرين اليها ومدنها الكبرى فقط فان من خصائص هذه المدن ان يجتمع فيها احط ما يكون وأرفع ما يكون . فاذا شاهدنا المنحط فيجب علينا ان ننكمش عن الحكم قبل مشاهدة الرفيع ايضاً . ولو كان جميع شعب الولايات المتحدة كالجمهور الثقيل الذي مرَّ وصفه آنفاً لما كانت اميركا اميركا ولما قدرت ان تحصل على النتيجة التي مرَّ بسطها في الفقرة السابقة . وساجعلك تزور معي في مقالة تالية داخلية الولايات المتحدة حيث أُريك شعباً غير الشعب الذي عرفته في نيويورك ونفرت جوانحك كلها منه . وسأريك منه اموراً تجعلك تحبه كما أحببته . ولعلك ترى في ما سيلي حلاً لتلك المسألة التي أشرنا اليها في مقدمة الكلام ونبحث معاً في حلها

عش رجباً

ترَ عجباً

مشاهدة مؤلمة في نيو يورك

معرَّة على المدنية الحديثة

(بقلم نقولا افندي الحداد)

ما كان يلوح لي وانا في اميركا أم الغنى وينبوع الخير والرزق أن أرى ما رأيته في الساعة التاسعة مساء منتصف الشهر الغابر · وما زلتُ الى الآن اتعجب واتحير من ان الامر الذي رأيته ودهشني انما هو شيء مألوف في هذه البلاد

كنتُ ذاهباً في تلك الساعة الى مخدعي حيث اريح مجموعي العصبي بعد جهاده كل النهار في تلقي ضوضاء المدينة وجلبتها وتلاطم الافكار في لجة العمل فاذا بي قد استوقفني أمرٌ زاد اعصابي اضطراباً وامواج افكاري التطاماً · فلم انم مطمئن البال

رأيت رهطاً من الادميين (نحو ١٥٠ رجلاً) وقد اندفع في عرض الشارع الى شارع آخر مقاطع له · ولا يخفى ان حب الاستطلاع غريزة في البشر · فتقدمت الى القوم لارى ما الخبر فاذا هم قد اصطفوا على رصيف الشارع متلاززين متراصين كأنهم جدار من الابدان البشرية · فمشيت وراءهم ثم امامهم فلم أرَ شيئاً غريباً سوى ان رجلاً القى امام ذلك الصف صندوقاً من الخشب كان يتأبطه · فعلمت ان السر منحصرٌ في هذا الرجل فتقدمت وراء الواقفين حتى صرت بإزائه فوجدت انه يوزع علي اولئك الوقوف شيئاً وقد أصابني نصيبٌ منه

تناولت ذلك النصيب فاذا هو قطعة من الخبز بقدر الكف — بلا مبالغة — فقلت لمن هو الى جانبي ,, ما هذه '' . قال ,, عشاء '' وكان يلوك خبزته. فقلتُ له ,, لقد تعشيت . فهل لك فيها ؟ '' فتناولها في الحال والتهمها

و بعد هنيهة انفردتُ بذلك الرجل وقلت له . ,, ما زلت لا افهم شيئاً مما أرى . فما معني هذا ؟ '' فضحك وقال لي ,, هؤلاء مساكين مدقعون لا يملكون شروى نقير ولا عمل لهم يسترزقون منه فيتضوّرون جوعاً . وذلك الرجل يتسوّل من اجلهم بضعة ريالات فيبتاع بها خبزاً ويفرقه عليهم ''

فقلت ,, وماذا تفي هذه البلغة من حاجة المعدة الي الغذاء سوى انها تثير الشهوة وتهيج الجوع ''

فقال ,, انها خير من طي الليل كله على الطوى ''

فقلت ,, أليس عجيباً ان تُعدّ بلغة العيش عشاء يحيي الرمق في اميركا وفي مطاعمها فضلات الخبز تُقري قبائل وفي براريها المترامية الزروع الخصيبة وفي أهرائها عِرَم لا تعدُ من الحنطة والحبوب وفي نيو يوركها قناطير مقنطرة من الاموال ؟ ''

فقال ,, ليست لنا هذه التي تعدّها بل هي لاهل الثراء الذين يتنعمون في قصورهم ويبذخون في انديتهم . واما نحن العمال الذين بنينا لهم تلك القصور واقمنا لهم تلك الاندية فلا ناكل خبزنا الا يوم نجد شغلاً نسكب فيه عرقنا. فان وقفت حركة العمل وجب ان تقف حركة حياتنا معاً ''

وما زلتُ ازداد حيرة ودهشة ولا اكاد اصدّق ما اسمع وأرى فقلت ,, أليس عاراً على اميركا التي تُعد اسعد الممالك واهنأها شعباً ان يوجد فيها ناس كالعازر يتسقّطون الفتات من موائد الاغنياء ؟ ''

فضحك قائلاً . ,, اراك يا هذا لا تزال تعتقد اننا نعيش لاننا نتحرك .

لا ٠ لانعيش ٠ بل نحن موتى لاننا خلو من كل لذة ٠ ولو كان نصيبنا اليوم من العالم كنصيب اليعازر من الغني لكنا في نعمة ونعيم ٠ ولاعتقدنا ان هناك فئة اخرى تحسدنا عليها ٠ ولكن ألم ترَ ماذا كان عشاؤنا في هذا المساء ٠ آمن بالله يا رجل وصدق انني لم اذق طعم القهوة منذ ١٥ يوماً „

فتنهدتُ متألمًا ونفختُ نفخ الافعى والتفتُّ الى ذلك الجمع فرأيت الرجل الذي وزع عليه كسر الخبز قد جعل يصفّهُ في عرض الشارع سبعة سبعة متلاصقة متضامة حتى صار كأنه كتلة جثث لا تزال تتنفس كأن لها بقية رمق ولا تزال تحيا كأن الموت مغمض عينيه عنها

ثم ركع الرجل على صدوقه وجعل يصلّي واولئك الاشباح رفعوا قبعاتهم حتى انتهت الصلاة

ثم وقف الرجل وجعل يتكلم وكان على الرصيف بعض رجال ونساء واقفين يرون و يسمعون و بعض المارّة يتوقفون هنيهة ثم يتمشون

وكان فحوى كلام استهلال الرجل ان ,, بعض الناس يسمون هؤلاء الرجال اوباشاً ٠ وبعضهم يسمونهم اوغاداً ٠ وبعضهم يقولون (تنابل) ٠ فسموهم ما تشاؤون فانهم لا يزالون بشراً واخوة لنا في الانسانية ٠ ومهما يكن سبب بؤسهم فعلينا ان نرد هجمات الجوع عنهم ٠ ليس لهم من حطام هذه الدنيا غير اجسادهم وما عليها من الرداء ٠ فاذا تعطف عليهم المشفقون اكلوا وان احسنتم عليهم الآن امكنهم ان يناموا في مضاجع كسائر البشر

,, حاجتنا الى ١٥ سنتاً اجرة مخدع لكل منهم في هذه الليلة فان لم نستطع ان نجمع حتى منتصف الليل السنتات المطلوبة بقي هولاء المساكين يتجولون في شوارع المدينة حتى الصباح واسنانهم تصرُّ وابدانهم تقشعرّ برداً كما جرى لهم ليل الاحد الماضي „

واسترسل ذلك الرجل بمثل هذا الكلام وغيره مبيناً ادواء الهيئة الاجتماعية وعللها حتى مرت نحو ساعة فجعل يرنم واولئك التعسون يشتركون معه. وبعد ترنيم عدة ترنيمات استأنف الخطابة ثانية

وكان في خلال ذلك يتقدم اليه بعض المارّة أو الوقوف ويدفعون له ما جادت به انفسهم

وكان في تلك الغضون ايضاً يعبر بعض اكابر القوم في اوتومو بيلاتهم فلا يعبأن بما يرون . فكنت اخاف ان يهيج الغيظ والحنق اولئك الجائعين فيهجمون عليهم هجوم الذئاب الحائرة على قطعان الغنم . ولكن انّى يفعلون ذلك وهم يقرأون ويطالعون ويعلمون كسائر الانام ان في البلاد شريعة قاسية في معاقبة المتهجمين الغزاة القتلة

وقد علمتُ ان نيويورك وغيرها من المدن الكبري لا تخلو من مثل هذا المشهد كل ليلة وفي احياء المدينة عدة مشاهد مثله على مدار السنة. ولكن الذي زاد الطين بلة هذه الازمة الحاضرة التي قطعت ارزاق الوف من العمال. فماذا يفعلون ؟ قال ذلك الرجل الذي كان يخطب ان بين هؤلاء الاشقياء رجلاً فقد وظيفة مهمة بسبب هذه الازمة وما كان يخطر له ان يقف هذه الوقفة . ولكنه اضطر ان يقفها فماذا يفعل ؟

يقولون ان في اميركا الوفاً من الاغنياء المحسنين الذين يجودون بالالوف والملايين للاعمال الخيرية العمومية . فلماذا اذاً لا زلنا نرى مثل هؤلاء المساكين يتوقعون لقمة من العيش عشاء ويتنظرون مرقداً خشناً ولو في آخر الليل ..

يقولون ان اميركا اغنى ممالك الارض وان شعبها أهنأ الشعوب واسعدهم فما بالنا نرى قوماً يشتهون الفتات الذي يقع عن مائدة الاغنياء ومع

ذلك لا ينالونه

يقولون ان المرء في اميركا كيف تحرك يكسب نقوداً · فما الوفا من العمال يتضورون فلا ينالون رغيفاً

يقولون ان اميركا بلاد الشغل والعمل وأي كان فيها يجد مسترزقاً · فما بال هؤلاء المتضوّرين لا يجدون

لم يزل البشر هم اياهم والارض كما يمهدونها · فلا قحط ولا محل ولا ولا جدب ولا ضربات من الله ولا من ابليس · وما زال الناس ذوي قوى للعمل ومعدٍ للأكل واجساد للبس الخ فلماذا تقف حركة العمل حتى يتضايق العامل ؟

الجواب عن كل ما تقدم

اولاً ان النظام الحالي جعل الاعمال كلها في يد مسيطرين عليها فاذا اقتضت مصلحتهم ان يستوقفوا حركتها اوقفوها · ولايهمهم الامر اذا فني جمهور العمال او عانوا عذاباً وشقاء

ثانياً ان في اميركا خيرات كثيرة جداً ولكنها غير موزّعة على مستخرجيها بحسب استحقاقهم منها بل بحسب المطامع والتحايل النظامي في توزيعها

وعدم الانصاف في توزيع الثروة في اميركا اكبر مصائبها وهو اسوأ فيها منه في كل العالم · وربما كان سبب القضاء عليها في المستقبل القريب او البعيد

ثالثاً ان الاموال التي جاد بها المحسنون من الاغنياء قلما قصد منها ان تنفق على الاعمال الخيرية لاجل دفع البلاء ورفع الشقاء عن الجنس البشري وتخفيف ويلات الفقراء بل قُصد فيها بالاكثر اقامة معالم الفخر والمجد لذويها وانما فُعل هذا بحجة فعل الخير العمومي

فكرنيجي مثلاً ملأ البلاد الاميركية مكاتب كُتب عليها اسمه حتى يقال

بعد وفاته ــ اطال الله بقاه ــ انه كان محباً للأدب والعلم وخادماً لهما

ولكننا ما رأينا ان كرنيجي ابتنى مئآت والوفا من المنازل الصغيرة لكي يؤجرها لفقراء البشر بنصف اجرة مثلاً · ولا اقام الفنادق العديدة التي تؤجر غرفها بقيم زهيدة للعمال المساكين الذين متى وقفت حركة العمل اضطروا ان يناموا متجولين في الشوارع او يتجولوا نائمين · ولا انشأ مطاعم عديدة في الاحياء المختلفة لكي يأكل فيها الفقراء المحتاجين بنصف او ربع ثمن عند مسيس الحاجة

المدارس والمكاتب الخيرية نافعة جداً ولازمة للبلاد · وهي من أهم اسباب رقيها ــ ليس من ينكر ذلك قط ولا يثبط العزيمة في الجنوح اليه · ولكننا ما رأينا فقيراً يدخل الى مكتبة او الى مدرسة لانه قبل ان يغذي عقله يحتاج الى ان يغذي جسده · وقبل ان يحتاج الى مكتبة يصرف وقت الفراغ فيها يحتاج الى غرفة ينام فيها

تجودون فالشكر لكم · ولكن لا تكونوا مرائين في جودكم ولا تتبجحوا فيه

نقولا الحداد

صوتُ صارخ في ربوع الشرق

أسكته المنون

تذكارًا لقاسم بك امين

« الخطبة الاخيرة التي القاها قبل ثلاثة »

« ايام من وفاته »

في ثلاث سنوات فقدت مصر ثلاثة من افاضل رجالها الذين يضنُّ الزمان بمثلهم · المرحوم الشيخ محمد عبده والمرحوم مصطفى باشا كامل والمرحوم قاسم

بك امين الذي نعته الجامعة (الجريدة) في احد اعدادها في الشهر الماضي نعياً يليق بمثله

أتى على قاسم بك امين يوم كان فيه أشهر رجل في مصر وهو يوم نشر كتابه (تحرير المرأة) وكتابه (المرأة الجديدة) وقد رمى فيهما الى أمر خطير في الشرق تراجعت عنه همم المصلحين المسلمين ولم يجترئ أحد منهم على الجهر به قبل الفقيد وهو رفع حجاب المرأة المسلمة والعناية بتهذيبها وجواز اشتراكها في عمل الرجال وبعبارة اخرى رفعها من درجة (كائن قاصر يحتاج الى وصي) الى درجة (كائن مستقل بنفسه يتولى زمام نفسه) في دائرة الشرائع الموجودة الاجتماعية والعيلية . فقامت يومئذ في مصر ضجة لم يقم مثلها قط . وما ذلك لان هذه المبادئ جديدة قد اكتشفها الفقيد اكتشافاً فثاروا عليها فانها كانت موجودة قبله كما يعلم قراء اللغة العربية واللغات الاجنبية . وكثيرون من كتبة المسيحيين الشرقيين قالوا بها وباكثر منها . ولكن الذي أثار تلك الجلبة الهائلة قيام مسلم فاضل من أعقل عقلاء المصريين ممن تحترم آراءهم الخاصة والعامة وهو من اكبر قضاة مصر وصبه كل قوى نفسه وبلاغته في كتاب رمياً الى (رفع الحجاب) فلم تكن ترَ جريدة حتى الجرائد التي كانت على مذهب المؤلف سراً الا وهي مشحونة بالردود على قاسم بك امين والتهكم على آرائه حتى سبه والتعريض به في بعضها . ولم يكتفِ اصحاب الذوق البارد بذلك بل ان بعضهم زاروه في بيته واذ فُتحت لهم قاعة الاستقبال طلبوا ان تجالسهم قرينته الكريمة كما تجالس سيدات المسيحيين الضيوف ,, عملاً بكتاب قاسم بك امين '' كما قالوا

ولقد قرأنا كتابي قاسم بك امين فكان اعجابنا شديداً بالجرأة التي ظهرت منه في هذا الامر وفي أمر آخر . فانه لما رأى ان ماضي التاريخ الاسلامي يحول دون اقتباس شيء كثير من ضروريات الحياة الجديدة ,, وذلك عند الجامدين

لا عند الاذكياء " صدم في كتابه ذلك الماضي صدمةً كصدمته للحجاب . ومن اقواله في هذا الصدد انه اذا لم يكن في المدنية الاسلامية القديمة ما نُطلب إدخاله الآن فما ذلك الا لان المدنية الاسلامية القديمة نشأت قبل قيام المدنية الحديثة ووجدت قبل نشأة جميع اصول العلوم والفنون ومبادئ السسيولوجيا . فكيف يمكننا ان نتخذها مثالاً للكمال البشري نحذو حذوه ونتلو تلوه وهي قد نشأت قبل نشأة اصول العمران الحقيقية . ثم قال هذا القول البديع ,, ان المدنية الحقيقية عبارة عن سير جميع الامم في طريق واحدة مرسومة اذ لا مدنية حقيقية خارج هذه الطريق " ثم قال هذا القول الهائل ,, ان الكمال البشري امامنا لا وراءنا "(١) قال هذا القول بعد ان أظهر انه لم يخلُ زمن من ازمنة التاريخ الماضي من الفظائع والجرائم والرذائل وان الكمال سيكون في المستقبل ولم يكن في الماضي . فكأنه بذلك وضع (الايديال) Ideal العلمي الادبي الاجتماعي فوق الـ Ideal الديني . وهذا أجرأ ما في كتابه على الاطلاق . ولكن منتقديه لم ينتبهوا اليه على ما يظهر

وفي يوم وفاته في مصر حوالي ٢٠ نيسان زار نادي دار العلوم في مصر تصحبه بضعة من الطالبات الرومانيات اللواتي وفدنَ على مصر لزيارتها والقى خطبة وجيزة باللغة الفرنسوية قال في خاتمتها ,, قرّب الله ذلك اليوم الذي نرى فيه الطالبات المصريات المسلمات جالسات بجانب طلبتنا كجلوس زائراتنا بجانبهم يتباحثون جميعاً في المواضيع المفيدة "

وكانت وفاته بعد الانصراف من هذه الحفلة بداء السكتة على ما يُفهم من اخبار مصر . وقد ودّع الفضل والعقل قبل وفاته بثلاثة ايام بخطبةٍ غراء القاها

(١) اكتب هذه المقالة في فول ريفر (ماس) وليس لديَّ كتاب قاسم بك لمراجعة قوله على انني اضمن المعنى وان لم اضمن حرفيته

في عزبة سراوه (المنوفية) في احتفال حافل عُقد فيها وشهده كثيرون من الاعيان اهتماماً (للجامعة المصرية) أي الكلية العلمية المنوي انشاؤها وكان الفقيد هو وصديقاه الحميان سعادتلو سعد باشا زغلول ناظر المعارف وسعادتلو احمد فتحي باشا زغلول وكيل الحقانية اول من قاموا بها · والمشاريع الخطيرة لا تقوم بها الا الهمم الكبيرة · وقد نشرنا هذه الخطبة بنصها لانها كانت آخر ما خرج من روحه الطيبة وهي حسبنا دلالة على مقام الرجل

نص الخطبة

قال بعد مقدمة وجيزة

,, أيها السادة · ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير في محله

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء امتهم وتعظيم وطنهم اكثر من اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحة · لو كانوا يجودون للاعمال بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلادالاخرى أغنى جمعية في هذا القطر · ولكنها أفقرها جميعها

من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة او وقف · من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب الجامعة شيئاً قليلاً لا يُذكر

ولولا ان عناية الجناب الخديوي ادركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعده الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة الوطنية وتتغنى فيه بمدح الشعور الوطني على نغمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم وجيوبهم ايضاً · في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا ونطلب ان تتحق فيه امانينا العزيزة · في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان انفع مشروع ظهر

في مصر ولد فيها ميتاً

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا أستطيع ان امنع نفسي من التصريح بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة ان يخفيه لشدة تواضعه وهو انه من اليوم الذي قبل فيه ان يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة العاملين فيها تحققنا ان النجاح صار مضموناً

أيها السادة . ان الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها . عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وفتحوا البلاد ولم نسمع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا ان نقتدي بهم ونهجر القول ونعتمد على العمل

اذا أردنا ان ننفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء ان ننظر الى أنفسنا ونعرف قيمتنا ونزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا

يجب ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة أو يتغير بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات الانسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة وطرق التربية فتغيير الحال الاجتماعية انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه فهو تعب ضائع

أيها السادة . ان من أهم اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والتربية واذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الا لاعداد موظفين أو أصحاب فن يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها أصحاب المدارس الخصوصية

والحكومة تعترف بان هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت الى عدم التوسع فيه للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال

وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع ان تتولى بنفسها أمر التعليم العام بجميع فروعه ودرجاته واذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتمدنة نجد ان القسم الاعظم من التعليم في يد جمعيات عامية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا ايضاً الى ان نطلب من ابناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

أيها السادة · نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للالتحاق بوظيفة بل نطمع ان نرى بين ابناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى الاكتشاف المجهول · فئة يكون مبدأها التعلم للتعلم · نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به · وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة · وكاتباً ذاع صيته في العالم · وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه · أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة · انا اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ (اكسب كثيراً واتعب قليلاً) ولا نجد فيهم العامل المحب لعمله أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتتمدد

فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها وانما نجد أفراداً قليلين · قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً ومن حين الى حين لتكيل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية ·

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لاحساسه وان اكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الاحساس الذين تهتز اعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة · اولئك هم السعداء — الاشقياء الذين يتمتعون و يتألمون · اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون في مصادفة كل صعوبة · من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي اليه أسرارها فيصير شاعراً بليغاً أو عالماً حكيماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً

أيها السادة · ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا يجب ان نفكر في ازالته وهو نتيجة من نتائج التربية الاولى · التربية المنزلية التي غفلت عن تربية احساسنا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحنا ماديين لا نهتم الا بالنتائج في جميع امورنا حتى في الاشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد المادية كعلاقات الاقارب والاصحاب · وليس من المنتظر ان تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغيراً محسوساً الا اذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز ان يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى ان الجامعة المصرية اذا فتحت أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل · نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي نتمناها له فليس معنى ذلك انه مفقود في بلادنا · حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا يزول عن أرضنا ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين ان حب التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس امتنا من عهد المرحوم

محمد علي باشا الى الآن

ولي أمل عظيم ان انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا انذار مطمئن يدلنا على انها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تتصرف فيه لتتمتع بالتوازن اللازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب ان الامة المصرية تشيده بيدها ليبقى أثراً خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقي الادبي فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمته أجل خدمة . فشكراً للسابقين وشكراً للاحقين في هذا العمل الصالح"

الفيلسوف نيتش وفلسفته

فيلسوف كان له تأثير عظيم في افكار البشر في الارض
وقد حاول هدم اكثر المبادىء القديمة
الصحيحة والفاسدة

سلسلة مقالات نبسط فيها فلسفته

نيتش ضد دروين وربما غلبه

ان مبدأ "تنازع البقاء" (١) مبدأ بسطه دروين ولكنه لم يثبت حتى الآن . واذا افترضنا وجوده — وهو موجود على ما يظهر — فانه لا يؤدي الى الغاية التي ذكرها دروين ونجترئ ان نود لو انه يؤدي اليها وهي (تغلب

(١) جرت تسمية هذا المبداء (تنازع البقاء) وأصله (التنازع من أجل الحياة) يريدون معيشة الفرد وحياته

الاقوياء والمنازين) فان الثابت عندنا ان مبدأ تنازع البقاء يؤدى الى تغلب الضعفاء على الاقوياء . أولاً لان الضعفاء اكثر عدداً والاكثرية أغلب وثانياً لانهم أشد حيلة . ان دروين في مذهبه هذا قد نسي (العقل Esprit) ولا بدع فهو انكليزي . فالضعفاء اقوى عقلاً وحيلة من الاقوياء لانهم اكثر احتياجاً اليهما ولا توجد الحيلة والعقل الا حيث توجد الحاجة اليهما . اما ذو القوة فلا يبالي بالعقل والحيلة بل يعتمد على قوته . فمبدأ (تنازع البقاء) يؤدي الى غلبة الضعفاء بحيلتهم على الاقوياء وإعمالهم عقلهم في هذه الحيلة . واعني بالعقل هنا الصبر والاحتيال والكتمان والاحتمال وما جرى مجراها

نيتش ضد رنان

اللاهوت عبارة عن اختلال العقل . ومثاله رنان الذي كما أراد ان يحكم حكماً فاصلاً بقوله (لا) أو (نعم) ظهر للسامع ظهوراً جلياً انه يكتم فكره وان ذلك الحكم خلو من كل جزم . ولقد اراد رنان ان يجمع بين (العلم وطبقة النبلاء) ولكن العلم من خواص الديموقراطية ومزاياها فكيف يمكن هذا الجمع . ثم أراد جعل (ارستوقراطية للعقل) ولكنه مع ذلك يجثو بخشوع لدى مبدإ يخالف هذا المبدإ وهو (انجيل الضعفاء) . ولا يجثو فقط جثواً بل . . . . فماذا ينفع الانسان كل ما له من فكر حر وتهكم وعصرية اذا كانت احشاؤه لا تزال مسيحية أو بالاحرى اذا كان لا يزال كاهناً (١) ولرنان سحر خلاّب كما لكل يسوعي وابتسامة منفرجة كأنها ابتسامة راهب . وهو كجميع الكهنة والرهبان لا يكون ذ خطر الا متى أحب أي متى احب شيئاً ودعا اليه بكل قوته . فليس أحد يشبهه في دعوته الى ما يحب ويعبد فهي طريقة خاصة به وتؤدي الى خطر على

(١) رنان كان كاهناً في شبابه كما بسطنا ذلك في ترجمته في مقدمة كتابنا « تاريخ المسيح »

الحياة . وان هذا (الروح الرناني) هذا الروح الذي يزعج النفس لانه يبذر فيها بزور التردد والحيرة انما هو مصيبة على فرنسا المسكينة يزيد في ضعف إرادتها فوق المصائب الاخرى التي اصابتها بضعف الارادة

مرضه وفلسفته وحقيقته

كانت أعوام الشدة التي مرت عليَّ اكثر افادة لي من اعوام الرخاء . بل مرضي الطويل نفسه افادني اكثر من صحتي . ذلك انه افادني (صحةً عليا) صحة قويت بما طرأ عليها لان كل ما يطرأ على الانسان ولا يقتله فهو يقوّيه . وما نشأت فلسفتي الا عن مرضي . فانه لا شيء يكوّن فلسفتنا نحن معشر الفلاسفة ويُبرزها بتمامها الا الألم الشديد المتصل الألم العظيم الذي ينمو مع الوقت ويُكرهنا على النزول الى أعمق الأعماق مبعداً قلوبنا عن كل ثقة وبشاشة ونابذاً منا كل مجاملة بشأنها وكل توسط وتخفيف وتلطيف امور كنا نرى من قبل انه من الواجب الانساني التزامها . وانني اشك في هل يجعلنا ألم كهذا الألم „ أفضل مما كنا قبله " ولكني على ثقة من انه يجعلنا أعمق فكراً وأبعد غوراً. وذلك اما لاننا نعتاد مواجهته بكبرياء وتهكم وقوة إرادة واما لاننا نكمش لدى ذلك الألم وننزوي في اعماق نفوسنا غير مبالين بشيء . ونفقد بعده الثقة بالحياة ولكننا لا نكرهها بل نحبها من وجه آخر . نحبها كما يحب الانسان امرأة يشك في امانتها

ومن الغريب ان هذا الشعور يتبعه شعور آخر . فان الذي ينزل الى هاوية الألم هذه يخرج منها وقد تجدّد شباب نفسه كأنه خُلق خلقاً جديداً . يخرج وقد أصبحت حواسه أشد بشاشة ونفسه اكثر ميلاً للفرح والمسرة ولسانه اكثر انطلاقاً في الاشياء الجميلة . ولكنه يخرج وهو لا يبالي بشيء من المسرات الاعتيادية التي ألفها اغنياؤنا وحكامنا (ومهذّبونا) كالفن والكتاب والموسيقى

وسائر (الملاذ الروحيّة) التي تُسقى (بالاشربة الروحية) وكل ما يعجب بـه غوغاء الناس و يدعونه سامياً وعظيماً • كلا انه يطالب حينئذ (فنّاً) غير هذا الفن أعني فنّاً (لاصحاب الفن) فقط والبشاشة كلها • ولله كم نتعلّم بعد ذلك الألم كيف يجب علينا ان ننسى و (نجهل) بعض الاشياء وان كنا على علم بها • واما تأثيرنا من حيث مستقبلنا فكونوا في اطمئنان • اننا لا نكون ابداً كفتيان المصريين القدماء الذين كانوا يدخلون الهياكل في الظلام و يقبّلون الاصنام فيها ويكشفون عنها غصباً الستائر التي كانت تغطيها وتحجبها لاسباب معلومة • كلا فاننا لا نريد اغتصاب الحقيقة ولا يكون هذا الذوق السقيم ذوقنا ابداً فان هذا من أفعال من هم فتيان في حب الحقيقة لا شيوخ • فكل هذا لا يهمنا • ولقد اصبحنا من الخبرة والجد والبشاشة والاحتمال و بعد الغور في منزلة تصوننا منه • ونعتقد ان (الحقيقة) لا تبقى (حقيقة) اذا مزقنا عنها الستار • فقد جرت العادة اليوم انهم لا يريدون فهم كل شيء ومعرفة كل شيء • (ومن عرف كل شيء احتقر كل شيء) سألت فتاة ساذجة امّها „ أحقيقي ان الله سبحانه يرى كل شيء • يا أماه • اذا كان هذا صحيحا فانني لا أراه حسناً " فربما كانت الحقيقة امرأة ذات حياء وفيها ما يوجب ان لا يُرى • فعلينا ان نكون كما كان قدماء اليونان : (سطحيين) في الظاهر و بعيدي الغور في الباطن • بمثل هذا يكون صاحب الفن صاحب فن (١)

مريم قبل التوبة

لم يتسنَ نشر الملزمة المعتادة من هذه الرواية التي يؤلفها صاحب الجامعة ذلك لانه كما يعلم القراء متغيب • وان شاء الله تُنشر في الجزء التالي

(١) نعيد التنبيه الى اننا نلخص تلخيصاً ولا نعرب حرفياً

أحد آثار رحلة

دعوة الجامعة السوريين المهاجرين الى الزراعة في الولايات المتحدة (١)

نسينا التعيم المسيحي فلا نعلم أي قديس كان ينتظر ظهور المسيح ولما حُمل اليه الطفل يسوع وأخذه بين يديه في الهيكل قال القول المشهور على ما ورد في التقاليد الدينية وهو ,, الآن أطلق عبدك ايها السيد حسب اقولك بسلام فان عينيَّ قد ابصرتا خلاصك '' يعني انه منصرف براحة الى القبر بعد ان رأى ظهور المسيح

والجامعة تقول الآن لاخواننا السوريين المنتشرين في اقطار اميركا الشمالية:

ان اليوم الذي ترى فيه الجامعة ان المهاجرين اهتموا للزراعة وامتلاك الارض وتربية المواشي كاهتمامهم للتجارة فانه يجوز لها ان تقول ,, اطلق عبدك بسلام فان عينيَّ ابصرتا خلاصك ''

رأينا في الداخلية حامل البضائع السوري ينوء تحت حمله الثقيل ويطرق المنازل الحليَّ منها والعاطل (٢) وهو يشكو و يتضجر شكوى يرق لها الحجر

ورأينا العملة السوريين في معاملهم يؤجرون ابدانهم وقواهم لمن يبتزها

---

(١) مرَّ على الجامعة « الجريدة » سنتان وهي تنشر الدعوة الى الزراعة وامتلاك الاراضي في الولايات المتحدة وتوه بدها بكل قواها وقوى مراسليها الادباء توجيهاً لانظار اخواننا المهاجرين الى هذا الامر الخطير. وحتى الآن لم ننشر في المجلة شيئاً يذكر بهذا الشأن افادة لقرائها في الخارج فنشرنا هنا هذين الفصلين وقد نُشر احدهما في الجامعة الجريدة

(٢) أي الذي لا حلية له غير ذلك

ابتزازاً ويفنيها تدريجاً في جوّ المعامل المشبع غباراً وغازاً · ويبقيها أجيرة له ما بقيت لها من الحياة بقية محرومة استقلالاً واعتزازاً

ورأينا التاجر المتسكع في تجارته تسكعاً في نيويورك والداخلية يصبر بعناد عجيب وصبر غريب على التجارة ببضائع أصبح التعب فيها ضائعاً أو كالضائع · وهو يستقرضها ويقرضها وحين الاستحقاق يعلم ان ما عليه معجّل وان ما له موءجل · الى ان يعود القارظان · ويلتقي الفرقدان

رأينا كل هذا ورأينا بجانبه ان مساحة الاراضي المزروعة في الولايات المتحدة ٨٤ مليون هكتار والاراضي غير المزروعة تملأها الاحراش وتعوزها يد الانسان ١٥٢ مليون هكتار · فقلنا أي افعى هائلة التفّت على جسم نزالتنا العزيزة ومنعتها حتى الآن من الاقبال على الزراعة · أي سحر غريب جعلنا ان نغمض عيوننا عن مغذية البشر وملطفة الاخلاق ومصححة الاجسام

ان الاميركان مصابون الآن بالجنون الذي أصاب جميع البشر في هذا الزمان وهو (الانجذاب الى المدن) للاقامة بين زخارفها ولذلك تراهم يعرضون حقولهم ومزارعهم للبيع وهي فرصة ثمينة الآن فما الذي يمنعنا ان نغتنمها

كان الذّ ما سمعته في رحلتي واحاديث الاخوان السوريين من قراء الجامعة عن الزراعة · وما كنتُ اظن ان ما نشرته الجامعة في هذا الشأن يكون له هذا التأثير لديهم · فالعامل في معمله يفكر منذ الآن في ان يقتصد مالاً للشروع في الزراعة · والتاجر الصغير يقول بعد سنتين ساشرع فيها · وفي بوتاكت قال لي جناب الفاضل يوسف افندي عساف الذي يشتغل بصناعة جميلة وهي تزيين المنازل وفرش جدرانها بالورق الملون : اسأل الله ان لا اموت الا في مزرعة

فاجبته : وأنا اتمنى امنيتك ايضاً

وقد ظهر لي ان كثيرين من إخواننا السوريين شرعوا في شراء المزارع

ولم تتصل بنا أخبارهم . فانا اعتب عليهم . وما ذلك لان نشر اخبارهم يهمهم أو بان الجامعة تفاخر بنشرها فانها لم تكتشف الزراعة اكتشافاً بحمدالله وانما قدمت من بلاد مصر وهي بلاد زراعية محضاً وملكها وامراؤها ووزراؤها واغنياؤها مزارعون فبديهي ان تهتم للزراعة هذا الاهتمام

وانما نعتب على الاخوان لاننا نعتقد ان كل مزرعة سورية تحدث وتُنشر اخبارها وعلى الخصوص اخبار نجاحها يؤثر هذا النشر احسن تأثير في تأييد هذه الدعوة فيزيد عدد المقبلين على الزراعة

في بوتاكت

استئجار مزرعة

المزرعة الاولى — ومن المزارع الجديدة التي علمنا بها في سفرنا مزرعة جناب الخواجا الياس مهنا قرب بوتاكت (كناتكت) فقد انشأ حضرته منذ زمن فرنًا لصنع الخبز السوري للسوريين في بوتاكت واذ كان غير راض في عمله احتار في ماذا يعمل . فاشار عليه جناب الفاضل يوسف افندي عساف احد اصدقاء الجامعة في بوتاكت ان يعمل في الزراعة فاستأجر منذ شهر مزرعة قرب بوتاكت مساحتها ١٦ اكراً تُزرع و ٤ اكر حرش يقطع منه الحطب . وفي المزرعة بئر ماء ومنزل فيه ٨ غرف واصطبل للماشية ومربّى للطيور كالدجاج وغيرها مساحته ٥٠٠ قدم وهو مصون باسلاك من كل الجهات ومربى للحمام وهو مصون باسلاك ايضاً حتى من جهة سقفه لئلا يطير الحمام — والاجرة هي ١٥ ريالاً في الشهر

وانظروا النكتة . ان الخواجا مهنا كان يدفع في بوتاكت ٩ ريالات في الشهر اجرة لمنزله . ويدفع ايضاً ٨ ريالات في الشهر ثمن الحطب لفرنه . الجملة ١٧ ريالاً . اما الآن فحطب فرنه يأخذه من حرشه وعيلته تسكن في

منزله في المزرعة· فكأنه يزرع ١٦ اكراً بلا اجرة ويستثمرها خضراً وبقولاً ويربي فيها انواع الطيور

في ماين

شراء مزرعة

المزرعة الثانية — والمزرعة السورية الثانية التي علمتُ بها قائمة في بوت باي هربر (ماين) لاصحابها حضرات الخواجات سعيد ومنصور وراضي فضول · وفيها الآن الخواجا سعيد اما الخواجا منصور والخواجا راضي فانهما يقيمان وقتياً في كمبردج (ماس) · وقد ابتاعها حضراتهم منذ بضعة أشهر بثمن قدره الفا ريال منها ٥٠٠ نقداً والباقي مقسط الى ١٥ سنة كل سنة قسط وهو مائة ريال — وفيها ثلاث آبار للماء وماء باسطوانات للمنزل · وعدد غرف هذا المنزل فيها نحو ٧ غرف وهو حديث البناء · ومساحة ارض المزرعة ١٦٠ اكراً منها ٦٠ للزراعة و ١٠٠ احراش فاذا قُطع حطب هذه الاحراش أربى ثمنه على ثمن المزرعة اذ ثمن كل عربة حطب مقطوع ثلاثة ريالات وربع · وفي المزرعة محل لتربية المواشي طوله ٧٥ قدماً وحديقة تفاح فيها نحو ٥٠ شجرة تثمر ومحل نجارة لاصلاح الآلات اذا طرأ عليها طارئ

قال لي الاخوان الفاضلان الخواجات منصور وراضي من اصحاب هذه المزرعة حين لقيتهما في كمبردج (ماس) ان الاميركي الذي باعهم اياها لينزل الى المدينة قد ندم وعرض عليهم ارجاع الثمن واستردادها فأبوا· فتذكرتُ حينئذ اخواننا الذين يتركون البرّ وينزلون الى المدن الكبرى كنيويورك وغيرها ولديهم شيء من المال لا يعلمون ماذا يفعلون به فيضيعونه في هذه المدن ثم يعودون منها بخفي حنين · ولو ابتاعوا مزرعة بدل نزولهم الى نيويورك واقاموا على حراثتها وتربية المواشي فيها لعاشوا عيشاً اهنأ من عيش ركفلر· وامتلأت خزائنهم

مع الوقت بالابيض والاصفر والاخضر(١)

من يريد شراء مزرعة على الطريقة التي اشترى بها الحواجات فضول اخوان؟ من يريد ان يكون من السابقين الى تأسيس النزالة السورية في اميركا على اسس وطيدة لا تتزعزع لا بصرصر ولا زعزع ؟ من يريد اقتناص الارض قبل فواتها ؟ فانني أرى المزارع معروضة للبيع في طريقي

رأيت العجب في لورانس

ولما كانت الزراعة السورية موضوع هذا الفصل فلا اذكر هنا شيئاً مما رأيته عن نهضة اخواننا في لورانس ماس من جريدة عندهم أيدوها وجمعيات الفوها وروايات مثلوها والفة عززوها ووداد صافٍ يستقبلون به الضيف فيصبح وكأنه في صداقتهم ابن ثلاثة اعوام مع ان معرفتهم به لا تتجاوز ثلاثة ايام . وهذه أمور سأتكلم عنها في فصل مفرد في الجريدة اظهاراً لفضل اخواننا اللورانسيين واعترافاً بجميل ودادهم . فقد غمروني حقاً بفضلهم ولطفهم ورقة اخلاقهم حتى عجز لساني عن الكلام ولكن قلبي لا يعجز تبعاً لقول ابي تمام

أألبس المعروف وهو كأنه قمر الدجى اني اذاً للئيمُ
فاروح في بردين لم يسحبهما قبلي فتىً وهما الغنى واللومُ

واحصر كلامي هنا عن الزراعة السورية في لورانس

صرفت يومين في افتقاد بعض المزارع السورية في لورانس . فعلمت ان الذين يعملون في الزراعة فيها بضعة من السوريين وهذه اسماؤهم

(١) ملحم افندي نجوم مدير جريدة الوفاء الغراء ووالده(٢) بربر افندي

---

(١) الابيض والاصفر معروفان عند العرب وهما الفضة والذهب واما الاخضر فهو لون الاوراق المالية الاميركية

البركس (٣) راجي افندي شنتيري ووالده (٤) الخواجا داود غنام (٥) الخواجا طنوس وهبه (٦) الخواجا سليم صباغ (٧) الخواجا ملحم حجار واخوه (٨) الخواجا الياس نقولا (٩) الخواجا بشاره سليمان · وربما فاتني ذكر غيرهم فارجو منهم المعذرة لعدم اتصالي بهم

مزرعة الخواجا بر بر البركس — لم اتمكن من زيارتها لسوء الحظ بعد ان اتفقت على ذلك مع الصديق الاديب الفاضل ملحم افندي البركس · وقد اسفت جداً لانها مع مزرعة اسرة نجوم واسرة شنتيري اكبر مزارع السوريين في لورانس كما بلغني · وهي تمتاز بعنايتها بتربية البقر والاتجار بالبانها امتيازاً خصوصياً

مزرعة اسرة نجوم — قال لي الصديق الاديب الفاضل ملحم افندي نجوم مدير جريدة الوفاء في لورانس اول ما التقينا اما ,, تزوروني لمشاهدة مزرعتي'' فاجبته ,, حباً وكرامة هذه هذه امنيتي في رحلتي'' · واول ما يلقاني المشتغل بالزراعة في الداخلية يسألني هذا السؤال لعله باهتمام الجامعة لهذا الموضوع خاصةً · فجعلنا يوم الاحد الاخير من الشهر الماضي ·موعداً للزيارة

ومزرعة اسرة نجوم مؤلفة من ٦٠ اكراً من الارض نصفها تقريباً احراش ترعى فيها بقر المزرعة وعددها ١٨ رأساً والنصف الثاني مزروع · وفي وسطها منزل ذو عشر غرف · وفيها آبار تجري المياه منها الى المنزل في اسطوانات خصوصية · وعلى أحد الآبار مضخة تُدار بدولاب هوائي لاستخراج الماء · وفيها اسطبل للبقر يسع اكثر من ٣٠ بقرة ومخزن لخزن علفها · واسطبل للخيل · ونحو ٥٠ شجرة مثمرة · وقد ابتاعها الخواجات نجوم بسبعة آلاف ريال اميركي

مزروعاتها

فيها نحو ٢٠ اكراً تُزرع حشيشاً لعلف البقر · واحراشها يُقطع منها من

الحطب ما تبلغ قيمته ثلث ثمن المزرعة لو قُطع كله · وفيها ٤ اكر مزروعة ذره واكر ونصف بطاطاوثلث اكر بنجراً وثلاثة ارباع الاكر بصلاً وخمسة اكر بندوره (طماطم) وقثاء وباذنجاناً وكوسى وفلفلاً وغير ذلك · وثلاثة ارباع الاكر المزروعة بصلاً قد غلّت في العام الماضي نحو ٣٤٠ بشلاً من البصل ثمنها اكثر من ثلاثمائة ريال · مع ان ثمن الاكر كله لا يبلغ ١٢٠ ريالاً

بقرها وتجارتها بالالبان

ولكن ليس عمدة المزرعة على مزروعاتها مع انها لو زُرعت كلها لكان ريعها في كل عام ما يعدل ثمنها · وانما عمدتها على بقرها واتجارها بالالبان · ففيها ١٨ رأس بقر معدل ثمن البقرة ٥٠ ريالاً · ومعدل حليب البقرة في كل يوم من ١٣ الى ١٥ كوارتر حليب (لبن) · وهي تحلب ٩ أشهر في السنة · وفي كل يوم يأتي ملتزم شراء اللبن ويأخذ من المزرعة نحو ١٣٠ كوارتر حليب (لبنا) ثمن الكوارتر خمسة سنتات في الشتاء وار بعة ونصف في الصيف لان اللبن يرخص في الصيف لكثرته · فيكون دخل المزرعة من لبنها فقط في كل يوم نحو ٦ ريالات

ربح البقرة الواحدة

ولنحسب دخل البقرة وخرجها · فهي تأكل في السنة طنين من الحشيش ثمنهما ٢٨ ريالاً · و١٤٠ بشلاً من علف البقر ثمنها ٧٠ ريالاً · فيكون قيمة طعام البقرة الواحدة في العام ٩٨ ريالاً · اما دخلها فاذا حسبنا انها تحلب كل يوم ١٥ كوارتر ثمنها ٧٥ سنتاً فتكون تحلب في سنة حليبها (أي تسعة اشهر أو ٢٧٠ يوماً) ٤٠٥٠ كوارتر (اربعة آلاف وخمسون) ثمنها ٢٠٢ ريال ونصف · فاذا طرحنا منها نفقة البقرة التي تقدم ذكرها وهي ٩٨ ريالاً فيكون صافي ربح البقرة الواحدة في العام اكثر من مائة ريال · وبعبارة اخرى ان معدل نفقة البقرة في كل يوم ٢٥ سنتاً وثمن حليبها ٧٥ سنتاً

فسألت الخواجا نجوم واذا اصاب البقر و باء فكيف تفعل . فقال مضت عليّ سنوات ولم تصب بقرنا بو باء . واذا أُصيبت بقرة به فمصلحة الصحة تأتي وتداويها . واذا كان مرضها معدياً اخذتها مصلحة الصحة وقتلتها بعد ان تدفع لي نصف ثمنها الاصلي

وقد جلسنا وآل البيت الكرام تحت شجرة تفاح امام باب المنزل والطبيعة هادئة حولنا والاشجار تنشر لباسها السندسي والشحرور يغرد فيها كأنه حمام اليف لكثرته وازهار الربيع تتناثر علينا من الشجر . فلعمري انني ابيع مدينة باسرها بجلسة كهذه الجلسة . ولذلك غبطت الطدبق ملحم افندي لمعيشته الجميلة . وفي الساعة الثالثة تقريباً حملتنا مركبة للمزرعة نظيفة انيقة وجواد جميل الى خط الترامواي على مسافة ميلين أو ثلاثة مع جناب الاديبين ملحم افندي البركس ونصر افندي حجار رفيقينا في هذه الزيارة ونحن نشكر لآل نجوم حسن ضيافتهم وكرم اخلاقهم

وقد زرت ايضاً مزرعة جديدة لجناب الاديب الخواجا وليم حجار وشقيقه النشيط وقد شرعا في قطع حطبها وزراعة ارضها ونشر الخشب من شجرها منذ مدة لا تتجاوز الشهرين . فندعو لحضراتهما بالنجاح التام لنرى مزرعتهما في الزيارة التالية من أهم المزارع السورية في لورانس اتقاناً

بقي كلام وافٍ على مزرعة الخواجا شنتيري والخواجا داود سليمان لم يسعه مجال المجلة فسننشره في الجزء القادم أو في الجريدة